الكتابة والحنين في رواية المغارة المتفجرة ليمينة ميشاكرة .

Writing and nostalgia in Yamina Mishakara's novel The Exploding Cave.

عبد المجيد بلخوص
Abd elmadjid Belakhois
madjidb6@gmail.com
University of alger 2

ملخص:

يقوم السرد في رواية "المغارة المتفجرة" ليامينة ميشاكرة في جميع تكويناته على خطاب الذاكرة، الذي ألفيناه يشمل جميع فصول الرواية بشكل مدروس، إلا أن النص يتكئ على تاريخ الثورة التحريرية، أين نجد الحدث التاريخي (التاريخ) مندمجا مع اللحظات الإنسانية الفارقة (الذاكرة)، دون أن يفقد النص شاعريته التي يتأسس عليها، وهي المعطى الذي يجعلنا على مقربة من تفاصيل دقيقة تغيب عن المؤرخ، غير أنها لا تقل أهمية إذ أنها تُعيد صوغ التجارب الشخصية لعدد من الأفراد يراهم المؤرخون أق قيمة.

سنحاول في هذه الورقة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- كيف تستثمر العملية الإبداعية الحدث التاريخي لكي تُدمجه في خطاب الذاكرة بغرض إعادة صوغ هوية الفرد والجماعة، دون أن تفقد خصوصيتها والتي هي مزيج بين الحميمية والاعتراف؟
- ما هي الآليات الفنية التي اعتُمدت في نص المغارة المتفجرة لاستحضار خطابي التاريخ والذاكرة في آن واحد؟

سنعتمد في ورقتنا هذه على المنهج الوصفي دون أن نعدم بقية المناهج الأخرى.

الكلمات المفتاحية: السرد، خطاب، الذاكرة، التاريخ، الرواية.

summary:

The narrative in the novel “The Exploding Cave” by Yamina Mishakara, in all its compositions, is based on the discourse of memory, which we composed and includes all the chapters of the novel in a thoughtful manner. However, the text leans on the history of the liberation revolution, where we find the historical event (history) integrated with the defining human moments (memory). , without losing the text’s poeticism on which it is based, which is the given that brings us close to minute details that are absent from the historian, but it is no less important as it reformulates the personal experiences of a number of individuals that historians consider more valuable.

Keywords: narrative, discourse, memory, history, novel.

1. مقدمة

للذاكرة سُلطان كبير على الإنسان عموما، أمّا إن تعلق الأمر بالفن (الرسام، الموسيقى، الكاتب...الخ)، فإن الرّهان سيأخذ مجرى آخر، وهو مجرى مُعقّد لأنه مُندمج مع التجربة الذاتية للشخص في أقصى مستويات تفردّها وانعزالها، كما تكوينه النفسي والاجتماعي، فالفن الروائي ليس إلا شكلا من أشكال الوعي الإنساني، في صورة وِعاء تجتمع فيه الأحاسيس والرغبات والأزمنة والصراعات بين ذات المبدع والعالم الذي يلفّها، لذا وجب الاشتغال على المضامين التي تشتمل عليها هذه النصوص وذلك بمدارستها بطريقة جادة ومسؤولة وبيان نوعية خطاباتها وأبعادها النفسية والاجتماعية[1]، ولعلّه ممّا يُصادفنا في هذا الباب خطاب الذاكرة في الرواية، القائم أساسًا على إعادة صوغ الماضي بطريقة مُبتكرة في قالب إبداعي أصيل ومتفرّد، بعيدًا عن القالب التاريخي الصّارم، وذلك بفضل مقدرة هذا الشكل الجذّاب(الرواية) على إضاءة الزوايا المعتّمة التي تُنيرها الذاكرة ويغفلها التاريخ، لأن هذا الأخير لا يحتوي على خواص ذاتية ونفسية واجتماعية متميزة، وفي كثير من الأحيان انتقائية، كما هو الأمر مع الذاكرة، رغم أن نقاط التلاقي بينهُما موجودة ولا يمكن بأي شكل إغفالها أو تجاهلها، لأن كليهما يتكئ على الواقع، غير أن

زاوية إبصار هذا الواقع مُختلفة، واقع الناس الجماعي ليس هو واقع الروائي المنفرد، "فالواقع بالنسبة للمبدع هو المجهول واللامرئي، هو ما رآه بمفرده وما يبدو له أنه أول من يستطيع رصده، هو ما تعجز الأشكال التعبيرية المألوفة والمستهلكة التقاطه مستلزما طرائق وأشكالا جديدة ليكشف عن نفسه"[2].

يتصدّى نص يمينة ميشاكرة المغارة المتفجرة * la grotte éclatée لموضوع الحرية والحلم إبان الثورة التحريرية، وقد تأسست الرواية وفق ما يُمليه انسياب الذاكرة والدفق العاطفي الخاص بالكاتبة، فالشخصية الرئيسة للرواية تحيا في هاجس البحث عن الحرية، أولا حرية الوطن وحرية ثانية مشروطة بالأولى وهي حرية المرأة في مجتمع مستقل، يحاول طرق أبواب الحداثة بنوع من الخشية وهو يواجه كمًّا هائلا من الأسئلة المصيرية تتعلّق بالهوية، الانتماء والمقومات.

من المعلوم أنّ آراء الدارسين قد اختلفت وتباينت حول خصوصية الإبداع الأنثوي، وفي ذلك نجد آراء مُتعدّدة كل منها يُقارب النّص الأنثوي وفق نظرة خاصة، تقوم في كثير من الأحيان على مُدراسة التيمات التي تحتفي بها الأنثى على وجه الخصوص، في ذلك ما كتب جورج طرابيشي في كتابه أنثى ضد الأنوثة وفيه أعطى سمات ثلاث للكتابة عند المرأة وهي كالتالي:[3]

- اهتمام المرأة الكاتبة باللغة على حساب الشكل الفني للرواية.

- انغلاق المرأة على الذات الأنثوية.
- عدم قدرة المرأة على الخوض في القضايا العامة (سياسة، اقتصاد، اجتماع).

بالعودة إلى بحثنا نقول: إن يمينة ميشاكرة ليست مُؤرخة، إنما هي فنّانة مُبدعة أرادت لنصها أن يستند في تكوينه على خطاب الذاكرة، أين يندمج كل من الحدث التاريخي الذي يشترك فيه الجميع مع اللحظة الإنسانية الفارقة، تلك التي تختلف درجة ذبذبتها من ذات فردية إلى أخرى، وعليه فهل وفقت الكاتبة في تجاوز التاريخ، وكتابة نص يحتفي بأدبيته وشاعريته مُتطيا الحادثة التاريخية الأكثر أهمية في تاريخ الجزائر الحديث؟ وما هي الآلية التي تتيح مثل هذه الإمكانية؟ وهل للكتابة الإبداعية والرواية بشكل خاص مثل هذه المرونة التي تتّسع لكتابة تاريخية جادة قائمة على الصرامة والدقة، وأخرى تعتد بالصوغ الفني وبالحميمية والاعتراف؟

2.المرأة التي تكتب تساوي وزنها بارودا.

تعتبر الثورة التحريرية المباركة (1962.1954) الفترة الأكثر أهمية في تاريخ الجزائر، باعتبارها المحطة الكبرى التي صنعت مجد هذا البلد المغاربِي، الذي بقي مُتمسّكا بأرضه رغم المدة الزمنية المعتبرة التي أمضاها تحت نير استعمار استيطاني، لم يدّخر جهدا في

تجويع وتجهيل ومصادرة كل شيء يجمع أبناء البلد بغرض طمس الهوية واللغة وشعور الانتماء، وما العدد مليون ونصف المليون من الشهداء الذي هو ثمن استرجاع السيادة الوطنية، إلا تعبيرا عن الرّفض التام لكل أشكال الاستعباد، وهو الرّفض الذي ظهر في ساحات الوغى، كما ظهر في مخيال ووجدان الشعب الجزائري الذي نقل تلك الرمزية التي يمثلها كفاح شعب مسالم في مواجهة قوة طاغية إلى الأجيال اللاحقة عن طريق الكتابة الأدبية. من المعلوم أنه لم يكن لأي أديب جزائري من الجنسين غداة الاستقلال أن ينفك من هيمنة موضوع الثورة التحريرية، ذلك لأن هذه المحطة التاريخية المفصلية في التاريخ الحديث قد تحولت إلى مادة مُهمة لإثبات الوجود الحقيقي لوطن كتب تاريخه بالدم، ولنا في الكاتبة يمينة ميشاكرة مثال لأحد الكُتاب الجزائريين القلائل الذين تركوا بصمتهم في المشهد الأدبي رُغم قلة نتاجهم، وما تقديم كاتب ياسين (1929، 1989) لروايتها، وتصديرها بلوحة "العميانles aveugles" لصاحبها الفنان التشكيلي ورائد الحركة التجريدية محمد اسياخم(1928، 1985) إلا مؤشرا على الأهمية الكبرى للرواية، يقول كاتب ياسين في تقديمه ما يلي: "في هذا النص الروائية ليست مجرد أديبة، إنها طالبة مُتحمّسة، كانت قد مارست الطب العام و النفسي، وقد كتبت كتابها هذا في فترة عصيبة، هذا الكتاب ليس مجرد رواية إنه أكبر من ذلك، هو قصيدة طويلة تُقرأ على أنها رواية. كتبتها بلغة فرنسية وهو الأمر الذي يُفسر تعرضها

لنوعين من الاستلاب، وهما كالتالي أولا: كتابة رواية من أجل تمرير قصيدة. أما ثانيا: فهو مُخاطبة الآخرين من أبناء الوطن بلغة أجنبية.كانت الكاتبة قد رأت والدتها تبكي بعد أن وقفت الأخيرة على أن صغيرتها النجيبة والمتفوقة في مدرستها قد نسيت لغتها الأم"[4].

في هذا العمل تتجاور خيوط الذاكرة المفعمة بالحنين مع الأحداث التاريخية، أين تآلف الاثنان في صورة المرأة الثائرة، وما صورة الممرضة إلا صورة أرادتها الكاتبة للتعبير عن موقفها من الأمس الدامي الذي تشغله الحرب، المغارة المتفجرة ليست فقط مُدونة تاريخية، إنها نص إبداعي استثمر في تقنية السرد والذي هو بشكل ما هو ذو طبيعة عبر لسانية_عبر تاريخي_ ممتد أفقيا في الماضي وفي كل الأشكال القديمة[5]، إنها إلى جانب ذلك صوت ينطق بالإنسانية وبالحب وبإحساس الأمومة وبالحياة. لذا استطاعت أن تُعبّر عن مأساة امرأة في صورة مُمرضة في صفوف جيش التحرير، وهي المأساة التي لم تبدأ عند التحاقها بالمجاهدين، إنما هي مأساة بدأت قبل ذلك بكثير، هي مأساة جيل تشترك فيها مع بنات جيلها، فهي مجهولة النّسب باعتبارها ثمرة علاقة خارج الزواج بين والدة تخلت عنها ووالد مجهول، لا أسرة لها، هناك فقط تنشئة مقطوعة تماما عن قيم الأسرة الجزائرية، على هذا كان من اليُسر أن تكبر البنت في حضن الثقافات المتعددة التي احتكت بها عن قرب، في ذلك تقول:

- "كنت أصلي للنبي محمد تارة وتارة أخرى لموسى أو عيسى... البعض كان يناديني ماري والبعض الآخر فاطمة، كنت احمل الألقاب كما الفساتين و القديسين كما التاج. أيام السبت كنت انزع لباس المسلمين وارتدي لباس اليهود ، العالم بالنسبة إلي كان ينقسم إلى ثلاثة أين لم تكن توجد حدود لي، عالم ارتبط بموسى وآخر بعيسى وآخر بسيدنا محمد"[6].

الالتحاق بالإخوة المجاهدين في الجبال ليست أمرا عاديا بالنسبة لها، إنه الحج إلى مكة الثوار، أريس هو قلعة للإباء والشموخ بغرض التأسيس لحرية غير منقوصة، في طريقها إلى الأوراس ابتسمت عيناها، وسمحت لأصابعها أن تشتبك مع أخرى لكي تسحب بعضا من غيوم السماء الماطر وتبسطه على الأرض، تلك الأرض التي أرادها العدو مسلوبة وعاقر، لا تزال محتفظة ببذور عتيقة تنتظر بزوغ فجر الحرية، لكي تحيا من جديد وترسل سنابلها الحمراء التي وعدنا بها الأجداد في وقت مضى، تتحدث عن ذلك فينطق صوت الحنين الذي يسكنها بما يلي :

"رأيت المزارع في الأوراس يسحق بيديه الحبوب ثم يذرها تسقط على الأرض لكي يسقط المطر، ونرى أعشاش الطيور في الربيع القادم"[7]. كل ذلك لن يحدث إلا تحت سماء الحرية، إنها الحرية التي لا يمكن أن تتحقق إلا عبر شرط الثورة على الظلم والقهر، ذلك هو المطلب السام للمزارع الذي يمسك الحبوب بيديه منتظرا إعلاء راية النصر

لكي يرمي بزرعه صوب الأرض الحمراء من حوله بفعل التضحيات الجسام، ويؤسس لوطن حالم وشامخ.

3.ذاكرة المكان:

يقوم المكان الروائي على اللغة، فهو" مُكوّن لغوي تخييلي، تصنعه اللغة الأدبية من كلمات و ألفاظ لا من موجودات وصور تُرى بالعين المجردة، كما أن تعامل الكاتب مع المكان لا يتم وفق النظر إليه كأشكال و أحجام وفراغات ومناظر، إنما يتم عبر اعتبار كل هذا مجرد رموز لغوية مُحمّلة بالكثير من الدلالات الجمالية والوظائف الفنية[8].

يتجسد المكان الروائي في خيال القارئ وليس في العالم المرئي، فقراءة العمل الإبداعي هو عبارة عن " رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ، فمن اللحظة الأولى ينتقل القارئ إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر"[9]

يظهر المكان في المغارة المتفجرة باعتباره مغارة بغير ملامح، تحولت من كونها عيادة تمريض إلى كونها مقبرة للمجاهدين الجرحى، تقوم فيها الممرضة بدور السارد الذي ينقل معاناة هؤلاء مع الألم ومع الموت في الجبل بكل ما يحمل من رمزية أثناء الثورة.

– "هنا، فوق حدود ميتة تعرفت على إخوة جاؤوا من الجهات الأربع للوطن، حتى من وراء البحر جاؤوا بغرض دحر الاضطهاد"[10].

هناك بالقرب من المغارة تتأسّس المعاناة الكبيرة التي تعكسها الحرب، وهي معاناة تتحول إلى مأساة يقف قارئ الرواية على تفاصيلها طوال مراحل الرواية. إذ تظهر الوظيفة الدلالية للمغارة باعتبارها مكان مُغلق، أين لا تبرز الحياة إلا في الخارج، فالرواية بشكل من الأشكال تحتفي بما هو خارج الحياة، طالما أن الحياة هي هناك خارجا حيث النور والضوء، حيث لا حدود تشل الحركة، إن ما داخل المغارة لا يمُد إلى الحياة بصلة. هنا _أي في الداخل _ لا توجد إرادة الحياة لأن الحركة تكاد تكون معدومة، باعتبار أن جرحى الحرب تعرضوا في معظمهم إلى بتر ساق أو رجل.

يعكس المكان بصدق توجه الرواية العام وهو الذي يدور حول موضوعات الإقصاء، الفجيعة والألم، لكن الكاتبة بإمكانها أن تجعل من المكان فضاء للحياة، فهي لا تتوانى في تأثيثه بما يسرُده لها المرضى من حكايات تبعث بالحياة من جديد داخل مغارة مظلمة، تكاد تكون قطعة من الموت طالما أنها عتبة للموت الوشيك. فالحرب تشغل كل الرواية بشكل رهيب، أما الكاتبة فإنها في خضم كل ذلك مُتمسكة بحقها في الحياة، وهي الرغبة التي تتقاسمها مع أبناء الوطن دون شك.

"-توجهت نحو الحدود التونسية، أين لا تتوقف طبول الحرب، هناك تعلمت أن أموت وان أحب الرجال، كيف لا أحبهم بعد أن علقت دماءهم بأناملي، وجمعت أحشاءهم بيداي، بعد أن تنشقت نَفَسَهُم ووقفت على أنفاسهم الأخيرة؟"[11]

تنقل الرواية معاناة المجاهدين في الجبال، على لسان ممرضة نتقاطع مع عدد من القصص المأساوية بشكل موجع، وعليه فإن خيطا رفيعا سوداويا يربط كل الرواية، فهي

بمجرد وصولها إلى المغارة تبدأ في سرد المآسي التي تراها وتسمعها، لاحقا ستتزوج ثم تفقد زوجها الذي ترزق منه بولد، فيما بعد تتعرض المغارة للقصف فيُصاب كل من الابن والأم إصابات بالغة، سيفقد الطفل ساقيه وتفقد هي إحدى ذراعيها، عن ذلك تقول: "–وحده الموت من يشغلني، الموت الذي هو مقدمة لجنون مخيف سيكون حتما رهيبا"[12].

تتحدث يمينة ميشاكرة في روايتها عن تيمة الموت بقالب يحمل الكثير من السوداوية والعبث، وهو الموضوع الذي كان حكرا على الرجل قبل نشر روايتها تلك، لم يكن للصوت الأنثوي أن يتحدث عن ضراوة حرب التحرير بهذا الشكل الصادق لولا الذاكرة القوية التي تملكها، لقد استعانت بذاكرتها وهي الذاكرة التي تجمع كل الجزائريين، فهي دون شك قد سمعت العديد من الحكايات التي تناقلها الناس عن بشاعة الحرب، عن الحنين إلى السلم والشمس المشرقة. في المغارة المتفجرة يظهر الصوت الأنثوي كصوت مُهيمن أُسندت له مهمة البوح والمكاشفة بشكل عفوي ومسؤول، صوت يتماهى مع الأحداث التي يرويها بشكل كبير، فتعزّز الحنين وتحول النص إلى قصيدة منثورة، هو صوت وُفّق إلى حد بعيد في تبيان الأثر الكبير للحرب ليس على الشخصية الرئيسة فحسب، إنما على ذوات أخرى (قويدر، صالح، أريس...) وهي ذوات تسير

بتؤدة نحو الموت بصورة درامية تعكس، بحق دموية الحروب غير العادلة، وهي تلك الحروب التي تنهض على تشريد شعب أعزل ينشد الاستقلال والكرامة لا غير.

- "في شتاء 1955 هبت ريح شديدة البرودة. كان علينا إخلاء المغارة وانتظار المدد الذي تأخر فأخذ الجرحى في الموت واحدا واحدا. فقط من كان بإمكانه أن يحمل السلاح من جديد من له الحق في ولوج المغارة. عندما وصل المدد أخذنا في بتر سواعد الجنود تارة وتارة أخرى في تخليصهم من لحومهم المتعفنة"[13]

يلُف الموت كل شخصيات الرواية بشكل يجعلها مُختفية بالغياب والإقصاء، فكما في داخل المغارة توضع أجساد الجنود مُكدّسة في انتظار موتها، هناك إلى جانب ذلك أعدادا أخرى تَلِج المكان في كل لحظة ثم تسلم الروح بعد أيام قليلة، فالموت والفجيعة هما القاسم المشترك بين عدد من الأبرياء لا ذنب لهم، إلا أنهم يجدون في البوح مُتنفّسا ينجيهم من الجنون، فعلِي وهو مِّمن وفدوا على المغارة، يبوح للممرضة بأن عقيدا فرنسيا قتل ابنه وشق بطن زوجته ثم رمى بأخيه وهو حي إلى كلابه.

تطغى تيمة الموت بشكل كبير طالما أنها تدور في زمن الثورة ورفع السلاح، وعليه تتحول المغارة إلى بوابة للحرية طالما أن الحرب لم تضع أوزارها بعد.

4.غواية الحرية:

عن الحرية تقول:

"قال لي يوسف ليس لديك الشجاعة، وتدعين بأنك مُحبّة للحرية.

_الحرية؟ أقسم لك بأني أحبها بكل ما أوتيت من قوة"[14]

يمكن لفعل الكتابة في حد ذاته أن يرتبط بعنوان أكبر هو الحرية، فالكتابة نجدها قد تحولت إلى جهد جبار تقف وراءه رغبة كبيرة في الخلاص، في الانعتاق من واقع تحول إلى ما هو أشبه بسجن مظلم تستبد بمداخله ومخارجه رتابة فجّة، في الحرية حياة كما في الركود موت معلن، المغارة المتفجرة هي رواية تتعلق بما تبقى من هامش لحرية تُجدّد تعلقها بالحياة رغبة في غد أفضل، هي دون شك امتداد لنداء التحرير الذي جسده الرشاش والمدفع قبل أن تجسده ذات الكاتبة بوعي وصدق، "ذلك أن العلاقة بين النص وصاحبه تتجاوز التعبير عن الرغبات المكبوتة والعلل النفسية، إلى التعبير عن الخيوط أو العلاقات التي تربط الإنسان بماضيه وحاضرة ومستقبله"[15]

تتجشّم الكاتبة مسألة الدفاع عن الحرية بعد أن استحال عليها العيش في واقع اقترن بالموت وبالألم، وهو واقع تحولت فيه إلى لسان حال البقية ممن دفعوا بكل غال

ونفيس طلبا لغد أفضل، فما صوت الرصاص إلى تعبير عن رغبة في الحياة، حياة لا تتأتّى إلا بعد تغيير الواقع وهو واقع لا ينسجم مطلقا مع العيش الكريم.

- "هناك في منتهى الطريق هناك إخوة ينتظروننا، يجب أن نمتلك القوة لنصل إليهم، هناك أعلى الجبل هناك كثيرون يحبون الحرية ويدافعون عنها"[16].

يخطئ من يعتقد أن الرواية تبحث عن حرية مشروطة، لا بل هي تبحث في سؤال الحرية بطريقة تضع معها الخطوط العريضة لحرية المرأة بعيدا عن قوة خارجية تتصرف فيها، حرية المرأة إبان الثورة التحريرية وبعدها.

- "صغيرة كنت أتساءل مرارا لماذا الآنسة جان تلك التي تحوم بها الأقاويل كانت تفتح نوافذها كل صباح، تتنزه فوق جسر سيدي مسيد مرتدية بنطالون مبدية إعجابها بغروب الشمس دون أن تتوانى في التلويح إلى أصدقائها..

لماذا كانت دينا تستقبل أصدقاءها في وقت يكون فيه دفيد خارجا، ولما كانت تسمح بخروج وحيدتها مع شاب.

صغيرة كنت أتساءل لماذا خالتي فطومة تتخفى خلف حجاب أسود وابنتها زليخة خلف آخر أبيض. لما كانت تطالب ابنتها بخفض صوتها وبصرها إن

هي تحدثت مع الغرباء، أن تخيط حتى وان لم تكن لها الرغبة في ذلك، أن لا تفتح نافذتها وأن تبقي سجينة في المطبخ إن وفد ابن عمها"[17].

هذه الأسئلة لا تخص يمينة ميشاكرة وحدها بل هي أسئلة عُنيت بها فيما بعد العديد من الكاتبات في القطر العربي قاطبة، إن ما يُحسب للكاتبة ها هنا هو اشتغالها بمثل هذه الهواجس في وقت مبكر، كان فيه خطاب الثورة مهيمنا على المشهد الإبداعي ككل.

يعكس هذا المقطع عن مشروعا كبيرا يرمي إلى إعلاء صوت الأنثى في مجتمع ذكوري، لا يزال متمسكا بوصاية لا نهاية لها على الأنثى، اكتفت الكاتبة هاهنا بطرح الأسئلة دون تقديم إجابات، قد يكون ذلك رغبة منها في تثوير أفكار المتلقي، الذي يقف إلى جانب شرعية طرح السؤال الإشكالي الذي يقف المجتمع ككل في مواجهته، علَّنا نستشف رغبة من الكاتبة في مزيد من الحرية بعد التحرير الأكبر وهو الاستقلال، الكاتبة دون شك كانت تطرق أبواب الحداثة بدءا من أسئلة الأنثى، ليس في قطيعة مع الموروث إنما فضاء من التعايش والاحتواء.

ولعلنا لن نحيد عن الصواب إن قلنا إن هذا النص الروائي قد وُفق إلى حد ما في المزاوجة بين خطاب التاريخ والذاكرة دون أن ينعطف لأحدهما على حساب الآخر،إذ أنه من المعلوم أن لغة الكتابة عند الروائي ترتقي وتنمو بالحدث الروائي، وعليه فمن

واجب المبدع أن ينتقي اللفظة والتركيب المناسبين لِمد جسر متين بين كل من الخطاب التاريخي والذاكرة، فهو بطبيعة الحال يحمل للحدث أكثر من مقابل، لذا من واجبه مراعاة نسج عدد من المترادفات والأضداد بما يخدم النص الروائي التاريخي[18]، أي النص القائم على شعرية الكلمة(لغة الإبداع) المحتفية بالحدث(لغة علم التاريخ).

5.خاتمة:

أمكننا استخلاص النتائج التالية:

- تأتي رواية المغارة المتفجرة كشهادة تُضاف إلى كل ما كتب عن الثورة التحريرية المباركة، لكي تفضح الوجه المظلم للاستعمار بشكل يدحض جميع المقولات التي كانت تتباهى بها فرنسا الاستعمارية، فالنص وإن كان أدبيا إنما هو مدعم بالعديد من الشهادات الموثقة، وعليه فإنه موجه للمؤرخين ومُريدي الكتابة الإبداعية على السواء.
- وفقت الكاتبة في إلى حد بعيد في الوقوف على الأبعاد الخارجية للشخصيات من قهر وظلم كما على الأبعاد الداخلية كالأمومة وإحساس الحنين. وقد أجادت في توظيف الأشكال السردية من (وصف، سرد، حوار...الخ) بالاتكاء على الذاكرة دون أن يفقد النص بعده الإنساني والعالمي كشهادة تدين كل أشكال الاستعمار.

- إن زاوية النظر عند الأنثى المبدعة، وهي تؤرخ للحرب نجدها قد امتزجت بموسيقى رقيقة، فجاءت انسيابية بشكل يغري الذوق السليم، كأنها معزوفة تتغنى بالحرية رغم إحساس القهر، كيف لا وقد افتكت الاعتراف من الرجل، فكاتب ياسين قد قدم لها الرواية وقال عنها انها —اي الكاتبة– قد كتبت رواية لتمرير قصيدة.
- قد يعتقد البعض أن خطاب الذاكرة الذي وقفنا عنده يخص يمينة ميشاكرة وحدها، لا بل العكس، إن الأمر يتعلق بالذاكرة الجماعية لكل مناهض للظلم وللاستسلام مهما كان عرقه، فالنص ذو أبعاد كونية ملازمة للإنسان المنفتح والمتسامح.

---

[1] ينظر: ابراهيم عباس، الرواية المغاربية، كوكب العلوم، ط1الجزائر، 2014. ص:65

[2] ناتالي ساروت الان غروب غريه لوسيان غولدمان جينفياف، الرواية الجديدة والواقع، تر: رشيد بن جدو، وزارة الثقافة قطر 2018 ص:19

* يمينة ميشاكرة 1949، 2013 روائية جزائرية وطبيبة نفسانية، خلفت روايتين اثنتين وبعض القصص، عرفت بروايتها المشهورة *la grotte éclatée* أو

المغارة المتفجرة 1979، التي قدم لها كاتب ياسين، الرواية تعالج موضوع الثورة التحريرية بلغة هي اقرب إلى كونها شعر منثور، أما روايتها الثانية أريس *Arris* 1999 فقد استلهمتها من عملها كطبيبة نفسانية وقد عالجت فيها موضوع الهوية. يظهر من خلال، التقديم الذي كتبه لها كاتب ياسين أن الكاتبة قد مرت بحياة صعبة، هي التي رأت والدها يعذب أمام عينيها ويقتل فإلى روح الوالد أهدت روايتها الأولى. توفيت بالعاصمة(2013). تقول عنها زينب الأعوج ما يلي:

عرفت الكاتبة الجزائرية يمينة ميشاكرة أكثر بروايتها القوية " المغارة المتفجرة" رواية محملة بكل ما هو إنساني عميق مع نسيج شعري كبير ولمسات قوية من عمق التراث الشعبي الأوراسي والبعد الأسطوري المنتقى بدقة العالمة والمختصة لشدة ارتباطها بجذورها المتعددة والمتنوعة مستفيدة بكل قراءاتها وعمقها الثقافي الواسع، رواية حملتها قضية المرأة والثورة التحريرية بامتياز والجرح الجزائري بكل تفاصيله.

كطبيبة نفسانية مختصة جعلت من اختصاصها، مثلها مثل المبدعة والمختصة النفسانية نوال السعداوي، مفاتيح وبوابات ونوافذ تدخل بها ومنها إلى عمق أبطالها وخاصة بطلاتها نظرا لتركيزها الكبير على المرأة وقضاياها وهمومها وما يسكنها في العمق، يجب ألا ننسى أن من كانت تصغي لمرضاها، أصبحت هي الحالة القابلة للتحليل. إذ بعد اغتيال البروفيسور النفساني بوسبسي من طرف الإرهاب الإسلاماوي الذي كان أستاذها في مستشفى دريد حسن للأمراض النفسية والعقلية، تفاقم وضعها فكانت

الصدمة بالنسبة لها ثقيلة، إذ أنها في كل السنوات التي تلت هذا الاغتيال ظلت تقريبا منكفئة على نفسها في بيت صغير ملحق بالمستشفى، ولا تخرج إلا قليلا بصحبة صديقة لها، حتى أنها ابتعدت عن المحيط الذي كان يشكل أساسا مهما لعلاقاتها مع الخارج ويساهم في فك عزلتها. راحتها الكبيرة كانت عندما تسافر إلى آريس بالأوراس ، منطقتها الحميمة والدافئة التي منحتها فرصة كتابة واحد من أجمل نصوصها الغنائية المنشور سنة 2000، والذي حملته تجربتها الغنية. كطبيبة نفسانية مع سبر أغوار النساء العازبات والأطفال المنسيين والمجروحين في الهامش، إذ هو مزيج بين الشعر والسرد والذي عنونته باسم " أريس" وهو في الرواية شخصية طفل تتطور حياته بقسوة ولكنه لم يفقد إنسانيته مطلقا وفِي هذا إحالة إلى المنطقة التي تتصف بصفات الشجاعة والكرم والنضال من أجل الحق والحريّة. هناك في أرضها وتربتها رأت وشاهدت أباها في طفولتها يوضع على فوهة مدفع ويقتل ببشاعة أسكنت فيها حزنا أبديا تحول إلى إبداع مر وحارق لكن بجمالية مفرطة.

[3] نعمة خالد، السرد العربي، أسئلة الكتابة النسائية أوراق مختارة من ملتقى السرد العربي منشورات رابطة الكتاب الأردنيين 2011 ص 344

[4] MECHAKRA, yamina , La grotte éclatée ENAG 1979. p 07

[5] ينظر:محمد بوعزة، سرديات ثقافية، منشورات الاختلاف، ط1 2014، الجزائر، ص:34

[6] La grotte éclatée P 33

[7] La grotte éclatée p15

[8] ينظر سليمان كاصد، عالم النص. دار الكندي للنشر الاردن 2003. ص 127

[9] سيزا القاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط 1984، ص: 74

[10] La grotte éclatée P29

[11] La grotte éclatée P 21

[12] La grotte éclatée P 26

[13] La grotte éclatée P22

[14] La grotte éclatée p 16

[15] أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ص: 157

[16] La grotte éclatée P17

[17] La grotte éclatée P 131

[18] ينظر: محمد تحريشي، أدوات النص، ، اتحاد الكتاب العرب، 2000 ص:112